الحياة الأدبية فى الحجاز

للأستاذ عبد القدوس الأنصارى

نشر الأساتذة : على الطنطاوى وعبد الوهاب الأمين وسامى الشقيفى وغيرهم فى مجلة (الرسالة) الغراء بحوثاً ممتعة عن الحياة الأدبية فى أوطانهم ، فأجادوا وأفادوا ، وجلوا لنا بأقلامهم الرهفة حقيقة هذه الحياة

ولما كانت هذه البحوث عبارة عن جزئيات يتألف من مجموعها موضوع كلىّ عام ، هو الهدف الاسمى ألا وهو (تصوير الحياة الأدبية فى البلاد العربية) رأيت — والحالة ما ذكر — أن أدلى بدلوى وأقول كلمتى عن الحياة الأدبية فى الحجاز ، استكمالاً لحلقات البحث ، ووفاء بحق هذا القطر الذى هو مهد الأدب العربى الأول

كانت الحياة الأدبية عندنا فيما قبل الحرب العامة الماضية تجرى على سنن أدباء القرون الوسطى جريا تقليدياً محضا ، ميكانيكياً خالصا ؛ قصائد غزل ورثاء ، ومدح وهجاء ، وتطريز وتشجير ، ورسائل معذرة وإطراء ، وعتاب وتواصل وتقاطع ... وكانت كل هذه الرسائل وهاتيك القصائد منهوكة القوى المعنوية بما تحمّله دواماً من أغلال السجع المرهقة ، وأثقال المحسنات البديعية الجافة ... للألفاظ فى الأدب عامةً المقام الأول : أما المعانى فهى فى الدرجة الثالثة أو الرابعة فى الأهمية . بقدر اقتدار الأديب ناثراً أو شاعراً على تنميق الألفاظ يقاس أدبه ، وبموجبه يصدر له أو عليه الحكم

هكذا كان الجو الأدبى هنا محاطاً بسياج من الجمود ... فلما وضعت الحرب العامة أوزارها استيقظ فى نفر من ناشئة الحجاز المتعلمين روح النهوض ، وشعروا أن أدبهم قد أخنى عليه التقليد وأفسده داء الجمود ، فتركه هيكلاً عظمياً نخراً باليا ، نابياً عن الحياة ، بعيداً عن مطالبها ، فاقداً روح الحياة ، فاشمأزوا من هذه الحالة المزرية . وهنا ابتدأ دور العمل فى الانقاذ ، ومن هنا ابتدأ عصر التجديد

إلى أين نتجه ؟ كيف نجدد هذا الأدب الرث البالى ؟ الطريق ؟ وأين الدليل ؟

هنا شاهدنا سبيين ممدودين الينا من أقطار العروبة الناهض وكل منهما له مغرياته ، هذا الأدب المصرى يجذبنا بنصاعة أسلوبه وقوة تركيبه ، وهذا الأدب المهجرى يسحرنا بمرونة أسلوبه وسهولة تعبيره . كان طبيعيا — والحالة كذلك أن يحصل انقسام فى اتجاه حياتنا الأدبية . ففى المدينة كان منا إجماع على اعتناق الأدب المصرى أسلوبا وتفكيرا ، وفى مكة وجدة تمسكت طائفة بذيول الأدب المهجرى ، وأخرى اعتنقت الأدب المصرى . وكل سار فى اتجاهه يكتب ويفكر ، ويفكر ويكتب ، حتى كان تفاعل فكرىّ فى الآونة الأخيرة أنتج « توحيد » مناهج الأدب الحجازى فى انتهاج سبيل الأدب المصرى وحده . ومن هنا وبسبب تضافر الجهود وقوة الاتحاد رأينا الأدب الحجازى يخطو إلى الأمام خطوات سريعة تشف عن استعداد عظيم

على أن حياتنا الأدبية بسبب حداثة عهدها ولكونها نتيجة ثقافة محدودة فانها ما تزال بحاجة الى الاصلاح والتغذية ، وإلى التنظيم والنضوج . فالاضطراب الفكرى والارتجاج الكتابى ، ظاهرتان ما تزالان تلازمانها فيما تنتجه من ثمار . ومع كل هذا فاننا لعلى اعتقاد أكيد باضمحلال هاتين الظاهرتين متى تضافرت الجهود فى سبيل الاصلاح

وحياتنا الأدبية انما تستمد كيانها وعناصرها من الأدب العربى الاسلامى القديم ، كمؤلفات الجاحظ وقصائد المتنبى ، ومن نتائج قرائح أدباء مصر المعاصرين ؛ وقلما تأخذ أية فائدة أو تستمد أية فكرة عن الأدب الغربى رأساً لعدم الملام الأكثرية الساحقة من القائمين بها باللغات الأجنبية الماماً يؤهلهم للافادة والاستفادة

ولقد خطت حياتنا الأدبية خطوات مباركة فى سبيل النشر والتأليف ، فمع وجود كثير من العقبات والحوائل قد ظهر فى عالم المطبوعات كتب أدب حجازية منها : كتاب أدب الحجاز ، وكتاب آثار المدينة المنورة ، ورواية التوأمان ، واصلاحات فى لغة الكتابة والأدب ، والتحفة الشماء فى تاريخ العين الزرقاء ، وحياة سيد العرب ، والانتقام الطبى

وفى الحجاز اليوم صحيفة أدبية هى الأولى من نوعها ، وهى